

أضواء البيان

@ 420 @ إذا زيدت قبلها لفظة (من) لتوكيد العموم كانت نصاً صريحاً في العموم ، وتطرد زيادتها للتوكيد المذكور قبل النكرة في سياق النفي في ثلاثة مواضع : قبل الفاعل كقوله تعالى : { مَّآ أَتَاهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ } ، وقبل المفعول كهذه الآية ، وكقوله { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَرْسَاهُ } : وقبل المبتدأ كقوله { لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ } . قوله تعالى : { فَاخْتَلَفَ الْأَكْثَرُ بَيْنَ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ } . أظهر الأقوال في (الأحزاب) المذكورة في هذه الآية أنهم فرق اليهود والنصارى الذين اختلفوا في شأن عيسى . فقالت طائفة : هو ابن زنى . وقالت طائفة : هو ابن ا . وقالت طائفة : هو ا . وقالت طائفة : هو إله مع ا . ثم إن ا توعدهم الذين كفروا منهم بالويل لهم من شهود يوم القيامة . وذلك يشمل من كفر بالتفريط في عيسى كالذي قال إنه ابن زنى . ومن كفر بالإفراط فيه كالذين قالوا إنه ا أو ابنه . وقوله (ويل) كلمة عذاب . فهو مصدر لا فعل له من لفظه . وسوغ الابتداء به وهو نكرة كونه في معنى الدعاء . والظاهر أن المشهد في الآية مصدر ميمي . أي فويل لهم من شهود ذلك اليوم أي حضوره لما سيلقونه فيه من العذاب . خلافاً لمن زعم أن المشهد في الآية اسم مكان . أي فويل لهم من ذلك المكان الذي يشهدون فيه تلك الأحوال والعذاب . والأول هو الظاهر وهو الصواب إن شاء ا تعالى . وهذا المعنى الذي ذكره هنا ذكره أيضاً في سورة (الزخرف) في قوله تعالى : { وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ } وَأَطِيعُوا أَوْسَارَ اللَّهِ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاخْتَلَفَ الْأَكْثَرُ بَيْنَ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ } وما أشار إليه في الآيتين : من أن الذين كفروا بالإفراط أو التفريط في عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، أنه لم يعاجلهم بالعذاب ، وأنه يؤخر عذابهم إلى الوقت المحدد لذلك أشار له في مواضع أخر . كقوله تعالى : { وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيُوضِعَهُمْ يَوْمَ تَجُوزُ الْأَنْجَارُ } ، وقوله تعالى : { وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّددٍ } ، وقوله : { وَلَوْ لَا أَجَلٌ مُّسمًّى لَّجَاءَهُمْ الْعَذَابُ } .

وَلَا يَدْرَأُ تَرِيدُنَّ هُمْ بِغَتَّةٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ { . وبالجملة فإنّ تعالى يمهّل
الظالم إلى وقت عذابه ، ولكنه لا يهمله . وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري
رضي الله عنه